المجمعُ المسكوني الفاتيكاني الثاني وحوارُ الأديانِ

رفعت بدر(*)

أشكرُ سماحةَ الدكتورِ أحمدَ الطيِّبِ الأكرمِ، شيخِ الأزهرِ الشريفِ، ورئيسِ مجلسِ حكماءِ المسلمينَ، على هذه الدعوةِ الكريمةِ، وأقدِّرُها عاليًا، راجيًا لسماحتِه ولجميعِ المشاركينَ بهذا المنتدى الطيِّبِ كلَّ الخيرِ والبركةِ والنجاحِ.

الحضورُ الكريمُ، المجمعُ المسكونيُّ الفاتيكانيُّ الثَّاني «ثورةٌ وثروةٌ»؛ هو ثورةٌ على الصورةِ القاتمةِ للدِّينِ، والَّتي كانَ يميِّزُها الانغلاقُ، والانحسارُ في الشئونِ الرُّوحيَّةِ والعقائديَّةِ، وقد جاءتْ لتثورَ كذلكَ على «الصورةِ النمطيَّةِ» للمجامعِ المسكونيَّةِ السَّابقةِ، الَّتي كانتْ بمثابةِ هيئةِ فتاوى، تُبيِّنُ الجائزَ والمحرَّمَ عقائديًّا وأخلاقيًّا.

وقد أتتْ الثورةُ لتكونَ اليومَ «ثروةً» بين يَدَيِ الكنيسةِ في العالمِ، برُوحِها ووثائِقها وانفتاحِها، وما زالتِ الكنيسةُ إلى اليومِ، ترجعُ إلى ثروتِها تلكَ، إلى جانبِ كلمةِ اللهَّ في الكتابِ المقدَّسِ، لتقولَ بأنَّ لها صوتًا تقولُه، ودورًا تؤدِّيه، كعلامةٍ للوحدةِ وأداةٍ للسلامِ وسْطَ العالمِ وبينَ الشعوبِ.

جئنا اليوم للحديث عن أكثر من خمسين عامًا ماضية، بما حملت في طيَّاتها من تغيرات سياسيَّة واجتماعيَّة، سلبًا أم إيجابًا، سرَّاء كانت أم ضرَّاء، لنقول بأنَّ «الثروة المجمعيَّة» جاءت في وقتها ومكانها، ولذلك لا نُحاسبُ أنفسَنا، وإنَّما نراجعها اليوم، بكيفيَّة استغلالِها والعمل برُوحِها وبمضامينِها.

ونتحدَّث اليوم بشكل خاصٍّ عن جزء من هذه الثروة، ألا وهي وثيقة «Nostra Aetate»، أي في عصرِنا، الَّتي فتحت الأبوابَ واسعةً لتعاونِ الكنيسةِ مع الأديان والتقاليدِ الدينيَّةِ الأخرىٰ، كما شرعتها كذلك مع الكنائسِ الأخرىٰ والعالمِ وثقافاتِه وأبعادِه.

أود تقسيم نصف القرن علىٰ مرحلتين: ٤٠ + ١٠ وذلك لتقسيمِ الحديثِ عند وفاةِ البابا القديس يوحنا بولس الثاني، وهي الذكرىٰ الأربعون لـ « Nostra Aetate» ومِن ثَمَّ عن ثلاثَ عشرَةَ سنةً ماضيةٍ إلىٰ اليومِ، وسأنهي كلمتي بالحديثِ عن الأردن وحوارِ الأديان علىٰ مدارِ نصفِ قرنٍ.

منذ مرورِ ٤٠ سنة لغاية ٢٠٠٥ م: كانت وفاة البابا يوحنا بولس الثاني في الثاني من نيسان ٢٠٠٥م ، حدثًا عالميًا؛ فقد جاءَ ملايينُ الأشخاصِ ليقولوا لجثمانِه شكرًا ووداعًا، مطالبين بإعلانِه قديس «Santo Subito» علىٰ الفور.

وحول جثمانه تَحلَّقَ العالمُ برؤسائه المدنيين والسياسيين والدينيين، حيث كان هنالك مكانٌ خاصٌّ لممثلي كافة الأديان؛ مسلمين ويهود وبوذيين وهندوسيين، ودلَّ ذلك علىٰ الاحترامِ الكبيرِ الذي تُكِنُّهُ الأديانُ وتابعوها له كرجلِ الحوارِ من الطرازِ الأولِ.

وطَوالَ فترةِ حبريته (١٩٧٨م - ٢٠٠٥م) رفع الصوت عاليًا من أجلِ اتباع «ثقافة الحوار» أفرادًا ومجتمعين، ومن أقوالِه: «علينا أن نُظهر بأنَّ الإيمانَ الديني يُلهِمُ السلامَ، ويشجعُ التضامنَ، وينمي العدالةَ، ويدعم الحريةَ».

ولا غرابةَ أن ينشرَ «المجلس البابوي للحوار بين الأديان» في عامِ الرحيلِ كتابًا خاصًّا حول مداخلاتِ الكنيسةِ في مجالِ حوارِ الأديان منذ عام ١٩٦٥ - ٢٠٠٥م؛ أي على مدار أربعين عامًا انتهت بعودةِ البابا يوحنا بولس الثاني إلى منزل الأبِ السماوي، كما قال في آخر لحظاته.

ويهدف هذا الكتابُ (الموسوعة) إلى تزويدِ المؤمنينَ من المسيحيينَ وإخوتهم في الأديان الأخرى، بمجملِ تعليمِ الكنيسة الرسمي حول إسهامِها الجلي والواضحِ بالحوارِ مع الأديان الأخرى وتابعيها.

رجعت إليه فوجدتُ أنَّ الكنيسةَ لم تترك يومًا واحدًا، دون أن تشيرَ إلى أهميةِ التقارب والتعاون مع الاحترام المتبادل لأتباع الديانات، سواء أكان في التعليم الشفوي أم المكتوب أم في الزيارات التاريخيةِ الَّتي قام بها البابوات، وبالأخصِّ يوحنا بولس الثاني، فجعل اللقاءات مع رؤساءِ الأديان وممثليها جزءًا لا يتجزأ من أي رحلة رسولية.

قال في زيارته إلى الأردن في آذار عام ٢٠٠٠م في مستهلِّ زيارتِه إلى الأرضِ المقدسةِ: «إنَّ الكنيسةَ الكاثوليكيَّةَ، دونَ أن تنسى أنَّ رسالتَها الأساسيَّةَ هي رسالةٌ رُوحيَّةٌ، إلا أنَّها مستعدَّةٌ لأن تضَعَ يدَها للتعاونِ مع الدولِ ومع جميعِ الناسِ من ذوي الإرادةِ الحسنةِ؛ لكي تَدعَمَ وتُنمِّيَ الكرامةَ الإنسانيَّة».

هذا هو الأساسُ الذي بَنَتِ الكنيسةُ أعمالَها في الفترةِ الأخيرةِ عليه، إذ إنَّ الكرامةَ الإنسانيَّةَ هي الهاجسُ الأكبرُ للمسيحيةِ في عَلاقاتِها مع شقيقاتها الأديان التوحيدية الأخرىٰ.

وفيما يلي بعض الإحصائيَّاتِ السريعةِ في الكتابِ هناك:

١) ٨٢ مداخلةً في المجمعِ المسكوني الفاتيكاني الثاني حول الحوارِ مع الأديانِ الأخرىٰ.

٢) ٦٦ مداخلةً للبابا بولس السادس.

٣) ١٢٥٩ مداخلةً للبابا يوحنا بولس الثاني.

٤) ٢٢٣ مداخلةً لدوائر الفاتيكان المتعددةِ.

٥) ٣٩ نصًّا في القوانين الكنسيةِ.

٦) ١١ وثيقةً للَّجنةِ اللاهوتيةِ العالميةِ.

بعد هذا السيل الكبير من الحواراتِ والأخذِ والعطاءِ والتعليمِ الرسميِّ، بدون شك نقول إن حدث أسيزي عام ١٩٨٦ كان من أبرز الأحداث العالمية الَّتي شكلت لوحة غاية في الجمال والأهمية.

وللحديث عن أهمية هذا اللقاء، أقتبس من المطران مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، متروبوليت حلب للسريان الأرثوذكس، الذي مازال مختطفًا ومجهول الإقامة، منذ حوالي أربع سنوات في سوريا، وقد قال عن لقاء أسيزي الذي شارك به، ممثلًا عن كنيسة السريان الأرثوذكس: «في سنة ١٩٨٦ دعا قداسة البابا يوحنا

بولس الثاني إلى لقاء فريد من نوعه، في مدينة أسيزي، ضم رؤساء وممثلي الأديان الكبرى في العالم، وبتكليف من قداسة سيدنا البطريرك المعظَّم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص الكلي الطوبى، شاركت يومئذ في هذا اللقاء، وعرفت أن قداسة البابا الراحل كان يُفتِّشُ عن ساعةِ صلاةٍ نابعةٍ من قلوبِ كل المؤمنينَ باللهَّ تعالى، لإحلالِ السلامِ العادلِ في العالمِ، وتحقق حلمَ قداسته في ذلكَ اليومِ، لأنَّ معظمَ الأطرافِ المتناحرةِ في كلِّ المعمورةِ، استجابت إلى نداء قداسته، وأعلنت الهدنة ليوم كامل، وكانت هذه إشارة واضحة إلى أن السلام يمكن أن يحصل بوجود الإرادة الطيبة».

وقد أعاد البابا يوحنا بولس الثاني لقاء أسيزي في عام ٢٠٠٢م، أي عشية الحرب الأمريكية المدمرة في العراق، و كان يقول: «في الحرب لا خاسر ولا رابح، بل الكل خاسرون».

وكذلك بعث مندوبه إلى الرئيس الأمريكي، وقال له: «إذا لم تجد إلا إعلان الحرب، فعلى الأقل اجعل اللهَّ خارج حربك».

إن اللقاءَ الفعليَّ مع الناسِ من مختلِفِ الجنسياتِ والأعمارِ والأديانِ، هو الذي جعل من حبرية يوحنا بولس الثاني حبرية الكلمةِ المؤثرةِ واللقاءَ الشخصي المؤثر، والذي ساهمَ في بناءِ حضارةِ المحبةِ الَّتي كان يُكرِّرُها كذلك.

الزيارات البابوية إلى الأرض المقدسة وإلى بعض البلدان العربية قد أسهمت بدون شكٍّ بتقريب أتباع الديانات، وهنا نؤكد على أهميةِ زيارةِ البابا بولس

السادس الَّتي عقبها تأسيسًا المجلس البابوي للحوار the Pontifical Council for Interreligious Dialogue، وبدون شكٍّ قد أثرَت وأثَّرَت في صياغة وثيقة Nostra Aetate.

أمّا زيارة يوحنا بولس الثاني في عام اليوبيل ٢٠٠٠، فقد كان لزيارته للمسجد الأقصىٰ وقع كبير في النفوس، ونشير هنا كذلك، إلىٰ الزيارة التاريخية إلىٰ جمهورية مصر العربية، في شباط عام ٢٠٠٠، حيث التقىٰ بشيخ الأزهر الراحل محمد سيد طنطاوي، وحولهما قادة وعلماء الكنيسة الكاثوليكية والأزهر الشريف، وتم التأكيد علىٰ أهميةِ تأسيسِ اللجنةِ المشتركةِ للأزهرِ والفاتيكان، واللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان.

وبعد أحداث أيلول ٢٠٠١ الارهابية، تجرأ ودعا إلىٰ المسامحة بالرغم من الجراح، ذلك أن: «لا سلام بدون عدالة، ولا عدالة بدون حقيقة، ولا حقيقة بدون مسامحة».

المرحلة الثانية من ٢٠٠٥ إلىٰ ٢٠١٧: دعوات إلىٰ الحوارِ بالرغم من أخطارِ الإرهابِ:

أولًا: البابا بندكتس ١٦

بغضِّ النَّظر عن المحاضرة الَّتي ألقيت في ١٢/ ٩ / ٢٠٠٦ م وأثارت ضجة عالميَّة، إلَّا أنَّ البابا بندكتس قد أسهم في تعزيزِ الحوارِ الدِّينيِّ، وبالأخصِّ بين المسلمينَ والمسيحيِّينَ؛ فتمَّ تأسيسُ المنتدىٰ الكاثوليكي الإسلامي الدائمِ، وزار مسجدَ

الحسينِ بنِ طلالٍ في الأردنِ، كما زارَ المسجدَ الأقصىٰ في القدسِ والجامعَ الأزرق في تركيا، ومنذ تولِّيه الكرسي البابوي قال في لقائه الأول مع ممثلي الديانات المتعدِّدة: «أؤكد لكم أنَّ الكنيسة تُريد متابعة بناء جسور من الصداقة مع أتباع مُختلِفِ الأديان، من أجل البحث عن الخير الأصليِّ في كلِّ شخص علىٰ حِدَةٍ وفي كلِّ مجتمع بشكلٍ عامٍّ».

ومن المهم هنا ذِكْرُ إدخالِ اللغةِ العربيَّةِ في نصوصِ الفاتيكان الرسميَّة، وفي لقاء البابا الأسبوعي يوم الأربعاء، كما أنَّ البابا بندكتس هو الذي دعا إلىٰ سينودس الكنيسة في الشرق: شركة وشهادة، وفيه قال: «إن الحرِّيَّة الدينيَّة هي تاج الحريَّات كلِّها»، وكذلك: «الشرق الأوسط بدون مسيحيين، أو فقط بعدد قليل منهم، ليس الشرق الأوسط»، وبذلك يقول إنَّ التعدديَّة الراقية قد زيَّنَتِ الشرقَ، ولا يمكن السماحُ بزوال تعدديته الإثنية وبالأخصِّ الدينيَّة، وفي الإرشادِ الرسوليِّ، النابعِ من أعمالِ السينودس، اقتبس من وثيقة «في عصرنا» لتأكيدِ أهميةِ الاحترامِ المتبادلِ بينَ المسلمينَ والمسيحيينَ في عالمِ اليومِ والغدِ.

ثانيًا: البابا فرنسيس

في أول لقاء مع الإعلاميين (١٦/ ٣/ ٢٠١٣) وكذلك عندما وقف علىٰ شرفة الكونغرس، قال «صلُّوا لأجلي، وإن وُجد فيكم غير مؤمنين فعلىٰ الأقل أرسلوا لي أَمانِيَّكُمُ الطيِّبَةَ»، وهذا يدلُّ علىٰ احترام مشاعرِ -ليس المؤمنين فحسبُ، بل- غيرِ المؤمنين أيضًا.

ويمكن أن نلخص حبريَّة البابا فرنسيس في دعوة الحوار، وبالأخصِّ الحوار الإسلامي المسيحي في الأهداف التالية:

١) تضامنُ أبناءِ أو أتباعِ الأديانِ من أجلِ خدمةِ الفقراءِ والمرضى والمحتاجين واللاجئين، وهذا هو الأمر الأهم في حبرية البابا، حيث إنَّه ومنذ اليوم الأوَّل قال: «أُريدُها كنيسةً فقيرةً، في خدمةِ الفقراءِ»، ومن هذه الكلمات دشَّن البابا فرنسيس العديد من المبادراتِ العمليَّةِ، لنرىٰ أنَّ الكنيسةَ تقف إلىٰ جانب الفقير والمشرَّد والمهمَّش واللاجئ، دون النَّظرِ إلىٰ أيَّةِ فوارق بشريَّة، سواء من ناحية الدِّينِ أو العرق أو الإثنية، وإنَّما تنظر فقط، دائمًا وأبدًا، إلىٰ الكرامةِ الإنسانيَّةِ الَّتي وضعها فيه اللهُ تعالىٰ، ونستذكر في هذه النقطةِ، اصطحاب البابا فرنسيس لـ ١٢ مهاجرًا سوريًا، ومعظمهم من الديانة الإسلاميَّة، إلىٰ الفاتيكان، وذلك في ختام زيارته التضامنيَّة إلىٰ جزيرة ليسبوس اليونانية، وقد تكفَّلت بإقامتهم في إيطاليا جمعيَّة سانت إيجيديو الكاثوليكيَّة علىٰ نفقة الفاتيكان.

٢) تضامنٌ في سبيل إشاعة الأمن والاستقرار، والإسهامُ المشتركُ من قبل القادة الدينيين للوقوف في وجه الإرهاب، فناهيك عن خطابات الإدانة ضد الإرهابِ في المنطقة، ودول العالم أجمعَ، نلاحظ أن البابا لا يذكر بتاتًا الإسلام في كل مرة يدين فيها هجومًا إرهابيًّا يحمل صبغةً أصوليَّةً، في إشارة منه إلىٰ رفض وَصمِ الإسلام بالعنف والإرهاب، يقول البابا حول ذلك: «أعتقد أنَّه ليس من الصواب وصمُ الإسلام بالعنف.. ليس صحيحًا أوحقيقيًّا القولُ إنَّ الإسلامَ هو

الإرهابُ.. لا أعتقد أنَّ من الصَّواب الربط بين الإسلام والعنف». وحول الرَّدِّ علىٰ الإرهابِ قال البابا خلال لقائه الأخير (٨ / ١ / ٢٠١٧م) مع السِّلكِ الدبلوماسي المعتمدِ لدىٰ الفاتيكان: الإرهابُ هو «جنونٌ قاتلٌ يسيءُ استخدامَ اسمِ اللهِ من أجلِ نشرِ الموتِ؛ لذا أُطلِقُ نداءً إلىٰ كلِّ السلطاتِ الدينيَّةِ كي تتوحَّدَ في التَّأكيدِ بقوة أنَّه لا يمكنُ لأحدٍ أن يقتلَ أبدًا باسمِ اللهِ، الإرهابُ الأصوليُّ هو ثمرةُ بؤسٍ روحيٍّ ذريعٍ، يكون أحيانًا مرتبطًا بفقر اجتماعي كبير. ويمكنُ أن يهزمَ بالكاملِ فقط من خلالِ إسهامٍ مشتركٍ من قِبَلِ القادة الدينيِّين والسياسيين».

وقد كانت هذه النقطةُ نقطةً رئيسةً في اللقاءِ التاريخيِّ الذي جمع البابا فرنسيس بالإمام الأكبر شيخ الأزهر أحمد محمد الطيب، في أيار ٢٠١٦ ، حيث تمَّ التَّأكيد علىٰ «الالتزامِ المشتركِ من ذوي السلطةِ والمؤمنينَ من الدياناتِ الكُبرىٰ من أجلِ السَّلامِ في العالمِ، ونبذِ العنفِ والإرهابِ، ووضعِ المسيحيِّينَ في سياقِ الصِّراعاتِ والتوتُّراتِ في الشَّرقِ الأوسطِ». وقد تجاوز هذا اللقاء جميع الخلافات الماضية بين المؤسَّستين الدينتين العريقتين، حيث تبادل الزعيمان وجهات النَّظر والاهتمامات المشتركة. فكلٌّ منهما يرغبُ أَنْ تقوم الدِّيانات بنشر السَّلام، وليس الكراهية، كلاهما يريدان ألَّا يتمَّ استخدامُ اسم اللهَّ من قِبَلِ أولئك الذين يُحرِّضون علىٰ الكراهية والإرهاب، حتَّىٰ ما يُخطب به في المساجد؛ لهذا السبب أكَّد البابا فرنسيس أنَّ «هذا اللقاء هو الرسالة».

٣) تضامنٌ للحفاظِ على البيئةِ وهي البيتِ المشتركِ للجميعِ، يقولُ البابا: «بسببِ العنفِ والإرهابِ انتشرَ موقفُ شكٍّ وحتى إدانةِ الأديانِ. في الواقعِ، مع أنَّه ما من دينٍ في منأى عن خطرِ الانحرافاتِ الأصوليّة أو المتطرفة في أفراد أو جماعات -الخطاب أمام الكونغرس الأمريكي، ٢٤ أيلول ٢٠١٥- ينبغي أن ننظرَ إلى القيمِ الإيجابيَّةِ الَّتي يعيشونها ويقدِّمونها والَّتي تُشكِّلُ مصدر رجاء. ينبغي أن نرفعَ النظرَ لنذهبَ أبعدَ من ذلكَ. إنَّ الحوارَ المبنيَّ على الاحترامِ الواثقِ يمكنُه أن يحملَ بذورَ خيرٍ تصبحُ بدورِها بُرعمَ صداقةٍ وتعاونٍ في مجالاتٍ عديدةٍ، ولاسيَّما في خدمة الفقراء والصغار والمسنِّين، في استقبال المهاجرين والتنبُّه للمهمَّش. يمكننا أن نسير معًا ونعتنيَ ببعضنا البعض وبالخليقة. جميع المؤمنين من جميع الديانات. معًا يمكننا أن نسبِّحَ الخالق لأنَّه أعطانا بُستانَ العالم لنزرعه ونحرسه كخيرٍ عامٍّ، ويمكننا أن نحقِّق مشاريعَ متقاسمةً لمحاربة الفقر وتأمين ظروف حياة كريمة لكلِّ رجلٍ وامرأةٍ».

وهنا أذكر أنَّه من بين الهدايا الَّتي قدمت خلال اللقاء التاريخي بين بابا الفاتيكان وشيخ الأزهر، كان الإرشاد الرسولي البيئي «كن مسبَّحًا»، وميدالية السلام، الَّتي تصور شجرة الزيتون الَّتي ولدت من صخر.

٤) تضامنٌ في عبادةِ اللهَّ الرحيمِ، وهو الأمر الذي ظهر في دعوته إلى سنة يوبيل الرحمة؛ فالعالم ينظر إلينا نحن المؤمنين ويَحُثُّنا على التعاون فيما بيننا، ويطلب منَّا جوابًا فعَّالًا حول مواضيع عديدة: السلام، الجوع، البؤس الذي يضرب ملايين

الأشخاص، الأزمة البيئيَّة، العنف وبشكلٍ خاصٍّ ذاك العنف الذي يُمارَس باسم الدِّين، الفساد والانحطاط الأخلاقيِّ، أَزَمات العائلة والاقتصاد والمال، ولاسيَّما الرجاءُ؛ فاسم اللهَّ الذي نعبده: «الرحمن الرحيم»، هو دعوة منه عز وجلَّ لجميع أبنائه لكي نتَّحِدَ، ونعمل معًا في إطار أعمال المحبة والرحمة.

٥) تضامنٌ مع الجماعاتِ الدينيَّةِ الَّتي تُضطهَدُ بسببِ إيمانِها، وهذا ما نجده في تنديداته المستمرَّة لما يتعرَّض له المسيحيون في عددٍ من الدُّوَلِ، وكذلك أيضًا نجدُه مع مؤمني الديانات الأخرىٰ، وهنا نستشهد لما قاله مؤخرًا عن مسلمي الروهينغا في ميانمار، حيث قال: «يعانون منذ سنوات، وعُذِّبوا، وقُتِّلُوا ببساطة؛ لأنهم يريدون ممارسة ثقافتهم ومعتقداتهم الإسلاميّة». وأضاف «لقد طُرِدوا من ميانمار و نُقِلوا من مكان لآخر؛ لأن لا أحدَ يُريدهم. لكنهم ناس طيبون ومسالمون. ليسوا مسيحيين. لكنهم أناس طيبون. هم أشقاؤنا وشقيقاتنا».

٦) ملتقىٰ أبناءِ ابراهيم: في المسجدِ الأقصىٰ المباركِ، قدَّم البابا فرنسيس شخصيَّة إبراهيم النبي، ليكون ملتقىٰ لجميع أبنائه، في عبادة الله، وفي الحجِّ الرُّوحيِّ، وفي العمل من أجل العدالة والسَّلام: «يتوجَّه فكري في هذه الأثناء إلىٰ إبراهيم، الذي عاش كحاجٍّ في هذه الأراضي؛ فالمسلمون والمسيحيون واليهود يَرَون في إبراهيم -ولو بطرق مختلفة- أبًا في الإيمان ومثالًا كبيرًا يُحتذىٰ به. فقد أصبح حاجًّا بعد أن ترك أهله وبيته؛ ليخوضَ هذه المغامرة الرُّوحيَّة الَّتي دعاه إليها اللهُّ، الحاجُّ هو شخص يختار الفقر، ويَشرَعُ في التَّرحالِ، ويسيرُ باتجاه هدف عظيم يَتُوقُ ويطمحُ

إليه، ويعيش بفضل رجاء وعدٍ تلقاهُ، هذا كان وضع إبراهيم، ولا بد أن يكونَ أيضًا موقفنا الرُّوحيَّ.

٧) لا يَسَعُنا أن نعتبرَ أنَّنا بلغنا الكفاية الذاتية، وأصبحنا أسيادَ حياتنا؛ ولا يَسَعُنا الاكتفاءُ بالبقاء منغلقين وواثقين بقناعاتنا، أمام سرِّ اللهِ نحن كُلُّنا فقراءُ، ونشعر بوجوب أن نكون دائمًا مستعدِّين للخروج من ذواتنا، وأن نكون وُدَعاءَ أمامَ الدعوة الَّتي يوجهها اللهُ لنا ومنفتحين على المستقبل الذي يريد أن يَبنِيَهُ من أجلنا». (البابا فرنسيس في المسجد الأقصى، ٢٦ / ٥ / ٢٠١٤م).

٨) ثقافة اللقاءِ: بعد خمسين عامًا من المؤتمرات والندوات والسفريات والمحاضرات والخطابات، نجد أنَّ الكنيسة وبالتَّعاون الوثيق مع كل إنسانٍ من ذوي الإرادة الحسنة، قد جاهدت للوصول إلى تشكيل، وإشاعةِ وتعزيزِ «ثقافةِ اللقاءِ»، وهي مصطلحٌ يُراد به مقاومة «ثقافة الإلغاء» الَّتي تعيشها مجتمعاتُنا العربيَّة مع كلِّ أسفٍ، وعلى كل صعيد، إنَّنا بحاجة إلى تعزيز مؤسَّسات الحوار الإسلاميِّ المسيحي، وصولًا إلى تحقيق الغاية المنشودة، ألا وهي ثقافة المواطنة والمساواة، وعدم معاملة الإنسان على أساس الأقليَّات والأكثريَّات.

إنَّنا بحاجةٍ إلى تعزيزِ البحثِ العلمي في التاريخِ؛ لاستنهاضِ ما تمَّ بناؤه في الماضي، على أكتافِ الآباءِ والأجدادِ، وبالأخصِّ في عصرِ التراثِ العربي المسيحي المزدهر بين القرون الثامنَ والرابعَ عشَرَ، حيث تركوا لنا إرثًا أدبيًّا، حيث كان الحوارُ يتمُّ بطرُقٍ سليمةٍ، أحيانًا بقوالب جدليَّة نراها اليوم عقيمةً.

لكن لماذا كان الأجداد أوسع صدرًا ممَّا نحن عليه اليوم؟

علينا أخيرًا أن نربِّيَ أجيالنا الصَّاعدة ضمنَ مناهجَ تعليميَّةٍ انفتاحيَّةٍ ومتقبِّلةٍ للآخر، على نهج الحوار وثقافة اللقاء، وأوَّل خُطوةٍ أنَّ الحوار ليس هدفًا بحدِّ ذاته، وإنَّما هو طريقٌ أو محطةٌ وصولًا إلى المحطة الكبرى ألا وهي المواطنة.

خاتمةٌ

الأردنُ وحوارُ الأديانِ على مدارِ ٥٠ عامًا:

لقد خطت المملكةُ الأردنيَّةُ الهاشميَّةُ، بمؤسَّساتِها الرسميَّةِ والأهليَّةِ خطواتٍ جبارةً في مجال حوار الأديان، مما أهَّلَها أن تكون رائدةً في هذا المجال في العالم كلِّه، وبعد استقبال البابا بولس السادس ، عام ١٩٦٤ ومن بعده البابوات يوحنا بولس الثاني ٢٠٠٠ وبندكتس السادس عشر ٢٠٠٩ وفرنسيس ٢٠١٤ ، وقد تمَّ التركيزُ في كل زيارة على بعد الحوار بين أتباع الأديان كعنصرٍ أساسيٍّ في صنع السلام بين الشعوب والتآلف بين القلوب.

الأردن، أولُ بلدٍ شرق أوسطيٍّ دعا وشارك ونظَّمَ مؤتمرات الحوار الَّتي جرت في ثمانينيَّاتِ القرن الماضي، مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان.

والمؤسَّسات الحوارية في الأردن:

١) مؤسسةُ آلِ البيتِ للفكرِ الإسلاميِّ.

٢) المعهدُ الملكيُّ للدراساتِ الدينيةِ.

٣) المركزُ الكاثوليكيُّ للدراساتِ والإعلامِ.

٤) مركزُ التعايشِ الأردنيُّ.

مبادرات صناعة أردنية وأصبحت عالميَّة:

١) مؤتمرُ العربِ المسيحيين والتَّصدِّي لإلصاقِ تُهمةِ الإرهابِ بالإسلامِ والمسلمين ٢٠٠٢م.

٢) رسالةُ عمان ٢٠٠٤م.

٣) رسالةُ كلمة سواء ٢٠٠٧م الَّتي أسست للمنتدىٰ الكاثوليكي الإسلاميِّ الدائمِ.

٤) أسبوعُ الوئامِ بين الأديان ٢٠١٠م.

٥) مؤتمرُ التحدياتِ الَّتي تواجهُ العربَ المسيحيينَ ٢٠١٣م.

٦) استضافةُ المهجَّرينَ من الموصلِ وسائرِ مدن وقرىٰ نينوىٰ.

٧) الدعوةُ إلىٰ تطويرِ الخطابِ الدينيِّ، والمناهج المدرسيَّة، وهما أمران هامَّان يركز عليهما كلٌّ مِن صاحب الجلالة الهاشميَّة الملك عبد اللهَّ الثاني بن الحسين المعظم، وسيادة الرئيس عبد الفتاح السيسي، حفظهما اللهَّ ورعاهما إلىٰ ما فيه الخير، لشعبينا الأردني والمصري ، ولكافة شعوب العالم.

بعدَ خمسينَ عامًا ونيِّفٍ علىٰ وثيقةِ «في عصرِنا»، نقولُ مع البابا بندكتس في الإرشاد الرسولي حول الكنيسة في الشرق الأوسط: «أنظارُ العالمِ كلِّه موجَّهةٌ صوبَ الشَّرقِ الأوسطِ الَّذي يبحث عن طريقه، فلتُظهر هذه المنطقةُ أنَّ العيشَ مَعًا ليس أمرًا مثاليًّا، وأنَّ انعدامَ الثِّقةِ والأحكام المسبَّقةِ ليست أمرًا حتميًّا، فباستطاعة

الأديان أن تلتقيَ معًا لخدمة الخير العامِّ وللمساهمة في تنمية كلِّ شخصٍ وفي بناء المجتمع. يعيشُ المسيحيون الشَّرق أوسطيون منذ قرونٍ الحوارَ الإسلاميَّ المسيحيَّ، إنه بالنسبة لهم حوارٌ عبرَ الحياة اليومية ومن خلالها، ويدركون غنىٰ الحوار وحدوده، يعيشون أيضًا الحوارَ اليهوديَّ المسيحيَّ الأكثرَ حداثةً. ويوجدُ منذُ زمنٍ بعيدٍ حوارٌ ثنائيٌّ أو ثلاثيُّ الأطرافِ بين «مُثَقّفين أو لاهوتيِّين» يهودٍ ومسيحيِّين ومسلمين، إنَّه مُختبرُ اللقاءات والبحوث المختلفة، لا بُدَّ من تعزيزه».

ومع البابا فرنسيس، كذلك في المسجدِ الأقصىٰ ، نقولُ: «لا يسعنا أن ننسىٰ، في الواقع، أنَّ حجَّ إبرهيمَ كان أيضًا دعوةً من أجل العدالة؛ فقد شاءهُ اللهُ شاهدًا علىٰ عمله وشخصًا يُقتدىٰ به. ونحن أيضًا نودُّ أن نكون شهودًا علىٰ عمل اللهَّ في العالمِ؛ ولذا نشعر، خلال لقائنا هذا، بالأصداء العميقة لدعوة أن نكونَ صانعي السلام والعدالة، وأن نبتهلَ هذه العطايا بواسطةِ الصلاةِ، وأن نتعلَّمَ من العليِّ الرحمةَ وعظمةَ النفسِ والرأفة. الإخوةُ والأصدقاءُ الأعزَّاءُ، من هذا المكان المقدس أوجِّهُ نداءً مفعمًا بمشاعر القلق لجميع الأشخاص والجماعات الَّتي تُقِرُّ بعَلاقتِها مع إبراهيم؛ لنحترم ونحب بعضنا بعضًا كإخوة وأخوات، لنتعلم أن نفهم ألمَ الآخر، ولا يستغلنَّ أحدٌ اسمَ اللهِّ لممارسةِ العنفِ! وَلنَعمل معًا من أجلِ العدالةِ ومن أجلِ السلامِ!

سلام!.

وشكرًا لكم.